

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الخامس والثلاثون

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد اللهم اغفر لنا ولشيخنا والحاضرين، قال المؤلف - رحمه الله تعالى -:-

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت)

ولهما عن ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعا (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (إذا أراد الله بعبده خير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة)

وقال النبي ﷺ: (إن عظم الجزاء من عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)

[الشرح]: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

❖ إذا دلت هذه الترجمة على مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد

وهو أن الصبر شعبة من شعب الإيمان أن الصبر شعبة من شعب الإيمان الواجب،

◆ واستدل بقول الله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه)

أما الإيمان فإنه عند عامة المفسرين يعرفونه بالتصديق، يقولون الإيمان هو التصديق كما قال الله - عز وجل -
عن أخوة يوسف {وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين}

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يرى أنه تصديق وزيادة .. تصديق مصحوب بالأمن ففيه معنى
الائتمان ولذلك يتضمن معنى القبول والرضا والانتقياد

وأما تعريف الإيمان اصطلاحاً فهو اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان هذه حقيقة الإيمان أنه
اعتقاد بالجنان يعنى بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان

فمن الإيمان بالله الصبر على أقدار الله:

فما الصبر؟ حقيقة الصبر الحبس والمنع والكف هذا هو الصبر في أصل اللغة الصبر هو الحبس والمنع والكف،

وأما في الاصطلاح فهو حبس النفس عن التسخط والجزع وحبس اللسان عن التشكي والسخط وحبس
الجوارح عن شق الجيوب ولطم الحدود والدعاء بدعوى الجاهلية هذه حقيقة الصبر

قال الله تعالى: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه): هذه جملة شرطية

(ومن يؤمن بالله): كيف يؤمن بالله؟ أي يعتقد بأن هذه المصيبة التي نزلت به إنما هي بقدر فما جزائه جواب
الشرط:

(يهد قلبه): يعنى يهدى قلب هذا الصابر الذي صبر على هذه المصيبة وهذه آية عظيمة آية وجملة منيرة لكل
مؤمن بأن من آمن بالله فإن الله - سبحانه وتعالى - يهدى قلبه لأقوم السبل وقد تقدم هذه الآية قول الله تعالى: (ما
أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه)

إذا الإيمان المقصود ها هنا هو الإيمان بالقدر والصبر على أقدار الله المؤلمة فلهذا قال (ومن يؤمن بالله يهد قلبه)

فمن علم بأن هذا الذي جرى عليه إنما وقع بعلم الله، وكتابته ومشئته، وخلقته ورضي بالله ربا ومدبراً أورثه
ذلك في قلبه هداية يجدها ويحس بها، ولهذا قال الله: (والله بكل شيء عليم)

◊ وقد عبر علقمة

وهو علقمة ابن قيس بن عبد الله من أصحاب عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - وكان قد ولد في حياة النبي ﷺ لكنه لم يلقه ويعد من كبار التابعين ومن علمائهم أيضا وفقهائهم كانت وفاته بعد الستين، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم: فسر هذه الآية بهذه الصورة

رجل: وليس المقصود هنا أنه رجل دون امرأة لكنه أراد التمثيل هو الرجل،

تصيبه مصيبة: يقع عليه من قدر الله تعالى ما يؤلمه

فيعلم أنها من عند الله: يكون مثلا بموت قريب بفوات مال أو بحصول آفة ومرض أو غير ذلك مما يجريه الله تعالى على عباده فيعلم أنها من عند الله يعني يعلم أن هذا الأمر جرى بتقدير الله السابق فإذا قام في قلبه هذا المعنى رضي وسلم فأورثه ذلك هداية في قلبه

◊ فهذا الباب في الحقيقة صلته بالإيمان صلة عظيمة

لأنه يتضمن الرضا بالله ربا ومدبرا ويتضمن إحسان الظن به - سبحانه وتعالى -

◊ فنستفيد من هذه الآية:-

- فضيلة الصبر

- ونستفيد من هذه الآية أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؛ أين ذلك لأن الصبر في الحقيقة عمل قلبي الصبر عمل قلبي لما يعصف في القلب من المجاهدات، والمقاومات الإيمانية وهو في الحقيقة ليس تصديقا قلبيا ولكنه عمل قلبي فدل ذلك على دخول الأعمال في مسمى الإيمان

- ونستفيد أيضا ثمرة الصبر وهي هداية القلب فالصبر لا يورث مرارة ولكنه يورث هداية نعم الصبر مر المذاق لكنه حلو العاقبة ولهذا قال نبينا ﷺ: "وما أعطى عبد عطاء خير له وأوسع من الصبر" فالصبر يورث في القلب إيمانا ورضا وتسليما وقوة إذا العبد قابل ذلك بالرضا والتسليم

◊ ثم قال وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال (اثنتان في الناس هما -

هما: أي الاثنتان -

هما بهم كفر: أي أن هاتين الخصلتين كفر قائم بالناس ولكنه لم يرد ﷺ به الكفر الأكبر المخرج عن الملة، وإنما أراد به الكفر الأصغر وأن تلکم الخصلتان من خصال أهل الجاهلية ما هما-

الطعن في النسب: أي عيبه وتنقصه

والنياحة على الميت: والنياحة كما تقدم معنا رفع الصوت بالندب بذكر محاسن الميت وما قد يصاحب ذلك وهو يدل على التسخط على القدر، إذا نبه نبينا ﷺ على خصلتين من خصال الكفر الذي كان عليها أهل الجاهلية وأنها لا تزالان قائمتين في الناس:

- إحداهما الطعن في النسب وهذا يقع كثيرا في الناس ينتقص بعضهم بعضا بأنسابهم وينبذ بعضهم بعضا بأنسابهم وأصولهم مع أن ذلك لا يغني عنهم من الله شيئا أي الأحساب والأنساب لا تغني عنهم عند الله شيئا فكما قال النبي ﷺ: "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"، وقال تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ومع ذلك فإن كثيرا من الناس يحلوه ويزين له الشيطان أن ينتقص الآخرين ليظهر فضله وتميزه عليهم ولا يجدي عنه ذلك شيئا،
- وأما النياحة على الميت هي أيضا تقع وذلك لوجود المصائب التي يجزيها الله على عباده فإن الله تعالى يقول: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) فلا تزال المصائب تترى على بني آدم فيقابلها طائفة من الناس بالنياحة فالنياحة المراد بها رفع الصوت بالندب على الميت، وأما مجرد البكاء ودمع العين فهذا ليس مذموما فهذا أمر طبيعي يقع من بني آدم ولهذا حصل للنبي ﷺ مثله حينما مات ابنه إبراهيم

◆ فمناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة:

لما في ذلك من تحريم النياحة ووصفها بأنها من خصال الكفر وهي تسخط على القدر

◆ فستفيد من هذا :-

- تحريم الطعن في النسب
- ونستفيد أيضا تحريم النياحة على الميت
- ونستفيد ثالثا وجوب الصبر على أقدار الله المؤلمة
- ونستفيد أيضا، الكفر كفران : كفرا ناقل عن الملة وكفر لا ينقل عن الملة يعنى كفر أكبر وكفر أصغر

واعلموا - يارعاكم الله - انه:

إذا وقع على العبد مصيبة فإن الناس ينقسمون إلى أقسام متنوعة: فمن الناس من يقابلها

(١) بالسخط هذه أدنى المراتب السخط فيجزع قلبه وتشمئز نفسه ويسيء الظن بربه ويولول بصوته ويشق جيبه ويلطم رأسه وهذا لا شك محرم وربما بلغ في بعض الأحوال إلى مبلغ الكفر لو أنه أساء الظن بالله - عز وجل - واتهمه في قضائه، وأما إذا كان مجرد انفراط في الكلام وانفعال فهذا لا يبلغ مبلغ الكفر وإنما يكون كبيرة هذه هي أدنى المراتب وهي السخط،

(٢) المرتبة التي تعلوها هي مرتبة الصبر وذلك أن يحبس الإنسان نفسه فلا تجزع نفسه جزعا يحمله على إساءة الظن بالله واتهامه في قدره ولا ينطلق لسانه بالتشكي والسخط كأن يقول يا ويلاه وا ثوراه ونحو ذلك ولا تندفع جوارحه بالضرب واللطم والشق ونحو ذلك من أفعال الجاهلية فإذا سلم من هذه الأشياء وكظم ما يجد فقد أدى الواجب أدى الواجب وهذا هو الحد الأدنى فمن حقق الصبر فقد أدى الواجب الذي عليه وصل له ثواب فعل الواجبات ومن ذلك قوله: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه)
فمقام الصبر واجب على كل من أصيب بمصيبة، يعلوا هذا المقام مقام ثالث وهو:

(٣) مقام الرضا وذلك أن يبلغ العبد المبتلى درجة يستوي عنده الأمران لقوة يقينه بالله وتسليمه بقضائه فيستوي عنده الأمران وهذه مرتبة قد قال بعض أهل العلم أنها واجبة وممن قال بذلك أبو الوفاء ابن عقيل - رحمه الله -

ولكن القول الصحيح الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أن الرضا مستحب

وليس بواجب والواجب هو الصبر ويعلو مرتبة الرضا مرتبة رابعة وهي:

(٤) مرتبة الشكر وهذا أمر يقع لبعض المبتلين من المؤمنين فإنه يقع في نفوسهم أحيانا مع المصائب بهجة وشكر ورضا وسرور لما وقع عليهم كأنهم رأوا أن الله - سبحانه وتعالى - أراد بهم خيرا من تكفير السيئات ورفع الدرجات فنظروا إلى هذه المصيبة بهذه العين فأوجب لهم ذلك سرورا وبهجة وهذا عجيب فعلا قد لا يصل إليه إلا الكُمَّل من الناس

وربما نقول - أيها الإخوان - إن هذه المراتب الثلاث باستثناء مرتبة السخط قد تمر على الرجل المؤمن في المصيبة الواحدة فأحيانا يصاب الإنسان بمصيبة فيعصف بقلبه ما يوجب له الصبر والتماسك ثم يستروح فيجد حالا من الرضا واستواء الأمرين ثم يسمو فيحصل له قدر من الشكر والاعتباط بما أجرى الله تعالى عليه فربما

طاف بالقلب جميع هذه الأحوال الثلاثة وعلى أي حال هو لأياها غلب المهم ألا ينزل عن درجة الصبر (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فلهذا كثر ذكر الصبر في كتاب الله - عز وجل - وثناء الله تعالى على الصابرين يقول النبي ﷺ: " لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة " وكم من الناس من لم يبلغ المراتب العلاء بصلاته ولا بصيامه ولا بقيامه ولا بصدقته لكن يقبض الله تعالى عليه مصيبة دنيوية في بدنه أو نفسه أو أولاده أو ماله أو أهله فيرفعه الله به أعلى الدرجات . فالذي ينبغي للإنسان أن يسأل الله العافية لكن إذا ابتلي فليصبر ولهذا قال رسول الله ﷺ يوجه أصحابه لما حالت الشمس بينهم وبين أن يقاتلوا عدوهم ، قالوا يا رسول الله ودنا أنا لو لقينا عدونا فقال رسول الله ﷺ: (لا تتمنوا لقاء العدو ، وأسألوا الله العافية ، وإذا ابتليتم فاصبروا) فالذي ينبغي أن يسأل الإنسان العافية لأنه لا يدري ما حاله إذا وقعت عليه المصيبة فربما آل حال إلى قدر من الجزع و التسخط فإن الإنسان محل القصور والتقصير فعليه أن يسأل الله العافية فإذا أجرى الله عليه شيئا من قدره فليستمسك بما قاله رسول الله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن إن أمر كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له واجتماع أمرين ظاهرهما التعارض " قال عجبا لأمر المؤمن إن أمر كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحدا إلا للمؤمن

◆ " ثم قال المصنف - رحمه الله - ولهما أي الشيخين عن ابن مسعود مرفوع

(ليس منا): هذا الأسلوب من أساليب الوعيد

(ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعى بدعوى الجاهلية): هذه الصفات ضرب الخدود، وشق

الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية هذه من صفات أهل الجاهلية ولا تليق بأهل الإسلام فلهذا تبرأ النبي ﷺ من هذه الخصال

◆ فمناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة:

لما فيه من تحريم التسخط بالقول والفعل على أقدار الله المؤلمة تحريم التسخط بالقول من قوله (دعا بدعوى الجاهلية)

ما دعوى الجاهلية؟: الندب والنياحة وقول وا ثبوراه وا عمراه وا جبلاه وا ويلاه إلى غير ذلك أو ما يقابلها من

ألفاظ عند الناس في مختلف المجتمعات وعلى اختلاف اللغات، وأما التسخط بفعل فهو شق الجيوب

والجيب: هو مدخل الرأس من القميص هذا هو الجيب وليس الجيب كما يظن كثيرا من الناس أنه المخبات لأ الجيب هو مدخل الرأس من القميص فتجد بعض قليلي الصبر والعياذ بالله إذا جرت عليه مصيبة أمسك جيبه وشرحا تعبيراً عما يجد من تسخط على قدر الله - عز وجل -، وكذلك ضرب الخدود يقع من بعض السفهاء ومن النساء خاصة إذا وقعت المصيبة أن يلطم رأسه أو يضرب خده ولا شك أن هذا سفه لأن هذا لا يدفع عنه مصيبة بل يزيده ألم لكن هكذا يصنع الشيطان بابن آدم

◆ نستفيد من هذا الحديث:-

- تحريم التسخط بالقول أو الفعل وأنه من الكبائر؛ من أين استفدنا أنه من الكبائر؟ من قوله (ليس منا)
- ونستفيد أيضا وجوب الصبر
- ونستفيد ثالثا تحريم مشابهة أهل الجاهلية؛ وهذا ملحظ عظيم معشر طلبة العلم فإن الشارع الحكيم لم يزل يميز بين أهل الإيمان وأهل الشرك بين أهل الإيمان وبين اليهود والنصارى يجب على أهل الإسلام أن يشعروا أن الله - سبحانه وتعالى - ميزهم بميزة لا يدانيهم فيها أمة ولا ملة فمن السفه أن نجد بعض المنتسبين إلى الإسلام يجرى خلف هذه العادات الغربية ويحاكي القوم في عقائدهم وأخلاقهم وعاداتهم وأعيادهم ومناسباتهم وملابسهم وأشكالهم هذا في الحقيقة قصور ونقص في العقل ونقصا في الدين إما نقصه في الدين فظاهر كيف الله - عز وجل - أحلك مرتبة عليا وقال: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ووضع الريادة، والسيادة، والقيادة ثم تنزل عن هذه المرتبة وتحالف أمر الله وأمر نبيه ﷺ، وأما من العقل فكذلك أيضا لا يليق بالإنسان الكامل أن يكون ذيلا وتبعاً لمن هو أنقص منه صار التشبه مخالف للنص كما في قول النبي ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم) وصار أيضا مخالف للعقل لما في ذلك من انحطاط عن الرتبة العليا إلى رتبة دنيا وآمل من طلبة العلم أن يتنبهوا لهذه الممارسات التي باتت تفسحوا في مجتمعنا في أنواع الملابس والكلمات والعادات التي في الحقيقة يصعب حصرها لكنها تسلت إلينا من الشرق والغرب فلا يليق بنا أن نكون رجع الصدى ولا أن يكون الإنسان إمعة إذا قال الناس شيئا قاله عليه أن يفرز، ويفحص، ويميز بين الواردات

◆ ثم قال المصنف - رحمه الله - عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بعبد الخير

عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة)

هذا الحديث: حديث صحيح لغيره قد رواه الترمذي وابن عدى والبيهقي حديث صحيح لغيره، والحديث الصحيح لغيره عند أهل المصطلح هو الحديث الحسن إذا تعددت طرقه فيقال عنه صحيح لغيره رواه الترمذي والبيهقي وابن عدى يقول النبي ﷺ:

(إذا أراد الله بعبده الخير): وقد يريد الله بعبده الخير وقد يريد به الشر كقول الله - عز وجل - : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا) ويقول النبي ﷺ (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) فالله تعالى قد يريد بعبده الخير وقد يريد بعبده الشر فهذه إحدى العلامات

(إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا): ما معنى ذلك؟ أي أنزل به من المصائب بسبب ما صدر منه من ذنوب لتطهره وتكفر عنه فإن المصيبة تكفر الذنب وتحتته حتما

(وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه): ما معنى أمسك عنه بذنبه؟ أي أخر عنه العقوبة لا رحمة أو لطفًا به ولكن استدراجًا له كيف ذلك

(حتى يوافي به يوم القيامة): نعم حتى يوافي يعنى بمعنى أنه يجيء يوم القيامة وهو متوفر الذنوب والخطايا مستكثر منها فيعذب الله تعالى بها في الآخرة

ولا شك أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة كما قال النبي ﷺ للملائكة وعظها وقال لها: (عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة)

◆ فهذا الحديث مناسب للباب:

لما فيه من الحث على الصبر على المصائب كما في الجملة الأولى (عجل له العقوبة في الدنيا) فيكون ما يقع على الإنسان من مصيبة دنيوية تقع من باب التكفير عن السيئات ولهذا يا أخوة ما يقع على العبد من مصائب تارة يكون لتكفير السيئات، وتارة يكون لرفعة الدرجات، وتارة يكون ابتلاء ليستخرج الله تعالى خبيثة نفسه، ويستنبط معاني العبودية من قلبه فلا يظن ظان بالله إلا خيرا

تأملوا معي قول الله - عز وجل - في سورة الفجر { فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن { هكذا يتبادر إلى أذهان كثير من الناس إذا راوا أن الله - سبحانه وتعالى - أفاض عليهم بالصحة والمال والغنى والراحة قال أنا كريم على الله بدليل أنه أعطاني ووسع على أيضا (وأما إذا ما ابتلاه) لاحظوا انه قال في

الموضعين (ابتلاه) إذا هو ابتلاء (وأما إذا ما ابتلاه فقد ر) يعنى ضيق عليه رزقه عليه رزقه (فيقول ربي أهانن)
يظن كثير من الناس أن تضيق الرزق والصحة وغير ذلك علامة شؤم أو علامة شر .

لكن الله عقد في الصورتين بقوله (كلا) أي ليس الأمر كما تظنون فليس إعطائنا دليل الكرامة وليس منعنا
دليل الهوان وإنما دليل الكرامة ودليل المهانة بحسب ما يكون من العبد فإن هو قابل الضراء بالصبر وقابل السراء
بالشكر فهو الكريم على الله وان هو قابل الضراء بالجزع وقابل السراء بالأشر والبطر فهو الهين على الله هذا هو
المعيار الحقيقي ولهذا تنبه له نبي الله سليمان لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرا عنده قال: (هذا من فضل ربي ليبلوني
أشكر أم أكفر) فحرى بنا إذا جرى لنا شيء مما يسرنا أن نقول (هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر)

◆ طيب نستفيد من هذا الحديث :-

- بيان علامة إرادة الله بعبده الخير أو الشر الله تعالى قد جعل علامات

- ونستفيد الخوف من الاستدراج بالصحة والغنى فيقلق الإنسان ويخشى لا لأنه يطلب البلاء لكن عليه أن
ينشأ عنده خوف من يعنى أن يكون ذلك من قبيل الاستدراج فيجتهد في طاعة الله - عز وجل -

- أيضا في الحديث ما يدل على إحسان الظن بالله - عز وجل - فإذا وقع عليك مصيبة فقل في نفسك هكذا
أراد الله بي خيرا حتى لا أوافي بذنوبي يوم القيامة بل أراد الله تعالى أن يطهرني في الدنيا قبل الآخرة هذا مجذبة
لإحسان الظن بالله تعالى

- أيضا نستفيد بشكل واضح وجوب الصبر على المصائب

◆ ثم قال المصنف - رحمه الله - :- وعن أنس - رضي الله عنه - أيضا إن رسول الله ﷺ قال:

(إن عظم الجزاء من عظم البلاء): هكذا بكسر العين وفتح الظاء عظم الجزاء مع عظم البلاء)

المراد بهذه المعية أن من كان بلائه أعظم فجزائه أعظم وهذا أمرا معلوم فإن الجزاء من جنس العمل وبقدر
العمل وقد قال نبينا ﷺ: " أشد الناس بلاء النبيون ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه "

من كان في دينه صلابة زيد له في البلاء وإن كان في دينه رقة خفف عنه فإذا ليس البلاء دليل هوان بل بالعكس هو أن يكون دليل كرامة أقرب لكن إذا قابله الإنسان بالصبر والاعتصام بالله فليبشر بما أعد الله له (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)، قال:

وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم: إذا هذه علامة

فمن رضي فله الرضا: يعنى من رضي بقضاء الله تعالى وما قدره عليه من هذا الأمر المؤلم ولم يتسخط فله الرضا له الرضا من الله - عز وجل - جزاء له على رضاه على مقدوره

ومن سخط فله السخط: ومن سخط أي بمعنى امتعض وتبرم ويعنى نفر من هذا الذي أوقعه الله تعالى عليه - فله السخط - يعنى من الله - عز وجل - فيسخط الله عليه والسخط صفة من صفات الله - عز وجل - كما إن الرضا صفة من صفاته)

◆ فالحديث أيضا مناسب للباب

لأن فيه وجوب الصبر على أقدار الله المؤلمة

◆ ونستفيد منه:-

- بيان علامة محبة الله للعبد فمن علامة محبة الله للعبد أن يتلىه إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم نسينا أن نبين إن هذا الحديث حديث صحيح حسنه الترمذي ورواه أيضا ابن ماجه

فالحديث مقبول بحمد الله أقول نستفيد من هذا الحديث بيان علامة محبة الله تعالى للعبد

- وفيه أيضا إثبات جملة من الصفات لله تعالى صفة المحبة من قوله (أن الله إذا أحب) وصفة الرضي لقوله (فله الرضا)، وصفة السخط في قوله (فله السخط)،

وكل هذه الصفات أيها الإخوان صفات فعلية تثبت لله - عز وجل - على ما يليق بجلاله وليس في إثباتها أدنى مماثلة لصفات المخلوقين فن الله تعالى (ليس كمثله شيء)

- أيضا نستفيد من هذا الحديث بيان حكمة الله تعالى فالله تعالى حكيم فيما يقدر فهو لا يقدر الأمور بمحض المشيئة كما يقول الأشاعرة بل لمشيئته وحكمته معا سبحانه

- وفيه أيضا ما تقدم من أن الجزاء من جنس العمل الجزاء من جنس العمل
- وفيه معنى قول الله - عز وجل - (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)
- وفيه ما يدل أيضا على وجوب الصبر على قضاء الله وأيضا وجوب إحسان الظن بالله تعالى

◆ ونستمع إلى المسائل

وفيه مسائل:-

- الأولى: تفسير آية الكرامة

[الشرح]: نعم وهى قول الله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) نعم

-الثانية: أن هذا من الإيمان بالله

[الشرح]: أن ذلك من الإيمان بالله لأن هداية القلب هي الإيمان ولهذا قال علقمة ما قال العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم

- الثالثة: الطعن في النسب

[الشرح]: نعم يعنى مراد الشيخ - رحمه الله - التحذير من الطعن في النسب لقول النبي ﷺ أنها بالناس كفر

اثنتان

- الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الحدود وشق الجيوب ودعي بدعوى الجاهلية

[الشرح]: لقوله (ليس منا) وهذا التعبير يدل على أن فاعله مرتكب لكبيرة نعم

- الخامسة: علامة إرادة الله وبعده الخير

[الشرح]: كقوله: (إذا أراد الله بعبده الخير)، وقوله: (إذا أحب الله قوما ابتلاهم)

-السادسة: إرادة الله به الشر

[الشرح]: كذلك

-السابعة: علامة حب الله للعبد

[الشرح]: وذلك بالابتلاء

- الثامنة تحريم السخط

[الشرح] لمجموع الأحاديث ومن سخط فله السخط

- التاسعة ثواب الرضا بالبلاء

[الشرح]: لقوله إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، ولقوله فمن رضي فله الرضي انتهى

وخلاصة هذا الباب أيها الإخوان أنه يجب علينا أن نعتصم بربنا - عز وجل - وأن نهيب أنفسنا ونعد أنفسنا لتلقى أقدار الله المؤلمة بالصبر واليقين والرضا وأن نسأل الله تعالى العافية في جميع الأمور وألا نغفل عن الله - عز وجل - فانه من عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة كما في الحديث تعرف إلي الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك

ثم قال المصنف - رحمه الله - ..

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد)

وعن أبي هريرة مرفوعا قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)

وعن أبي سعيد مرفوعا (ألا أخبركم بما أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل) رواه أحمد

[الشرح]: هذا باب مهم عظيم باب ما جاء في الرياء

◊ ومناسبة هذا الباب للتوحيد ظاهرة

لأن الرياء ينافي التوحيد والإخلاص فلاجل ذا عقد الشيخ هذا الباب لبيان خطر الرياء ومنافاته للتوحيد
الواجب

◊ والمقصود بالرياء

الرياء هو مصدر راءى يرأى مرأاة أو رياء فهو: أن يرى الناس خلاف ما هو عليه في الباطن هذا إذا كان
متعلقا بفعل،

وأما إذا كان متعلقا بقول فإنه يقال تسميع ولهذا جاء في الحديث ((من راءى راءى الله به و من سمع سمع الله
به)

وربما ذكر الرياء منفردا فيشمل النوعين لكن المراد في الحالين أن يري من نفسه خلاف ما هو عليه في الواقع

◊ فاستدل المصنف - رحمه الله - بقول الله تعالى: (قل إنما أنا بشر مثلكم)

أي يا محمد قل

إنما: أداة حصر

أنا بشر مثلكم: أو النبي ﷺ بشر آدمي يلحقه ما يلحق بنى البشر من الحياة والموت والصحة، والمرض،
والسرور، والحزن، والغنى، والفقر وسائر الأحوال البشرية هو بشر لكن ماذا؟

(يوحى إلى): هذه هي الميزة العظيمة التي ميزه الله تعالى به عن سائر البشر أنه يوحى إليه ويوحى إليه أى
ينزل عليه الوحي من الله - عز وجل - يوحى إليه ماذا؟

(أنما إلهكم إله واحد): أي أن معبودكم المستحق للعبادة واحد لا يجوز صرف العبادة لغيره أبدا لا شريك له،
تتمة الآية:

(فمن كان يرجو لقاء ربه): يرجو هنا فسرهما بعض المفسرين بمعنى يخاف المصير إليه ولقائه

(فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا): إذا من كان مؤمنا بلقاء الله تعالى وخائفا من المقام بين يديه
فليجمع وصفين فليعمل عملا صالحا، والعمل الصالح هو ما كان موفقا للسنة، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهو
الإخلاص

ولهذا سئل الفضيل ابن عياض - رحمه الله - عن قول الله تعالى (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) ما أحسن عملا قال أخلصه وأصوبه فانه إذا كان خالصا ولم يكن صوابا كان بدعة، وإذا كان موافقا للسنة ولم يكن خالصا كان رياء أو شركا فلا يسلم العبد ولا يكون مقبولا ولا يسلم العمل ولا يكون مقبولا عند الله إلا إذا جمع هذين الوصفين الإخلاص لله - عز وجل -، والموافقة، والمتابعة لنبيه ﷺ

وقوله (لا يشرك بعبادة ربه): يعنى لا يراءى بعمله (أحد) نكره في سياق النهى فأفادة العموم النكرة في سياق النهى تدل على العموم أي لا يشرك بعبادة ربه أحدا كائنا من كان

◆ فمناسبة هذه الآية للباب:

ما جاء في الرياء ظاهر لأنه تضمن الأمر بإخلاص العمل لله - عز وجل - والنهى عن الشرك

◆ ونستفيد منها:-

- أن أصل الدين هو الإخلاص لله - عز وجل -

- ونستفيد أيضا أن الرياء نوع من الشرك؛ إلا أن يسيره يسير الرياء من الشرك الأصغر يسير الرياء من الشرك الأصغر، وأما إذا كثرت واستفحل فانه يبلغ مبلغ الشرك الأكبر

- ونستفيد أيضا أن شرطا العبادة الإخلاص لله تعالى والمتابعة لنبيه ص

ثم قال المصنف عن أبي هريرة مرفوعا قال الله تعالى إذا ماذا يكون هذا الحديث قدسي إلهي لأن النبي ﷺ إذا حدث عن ربه بغير القرآن فالحديث قدسي لفظه من النبي ﷺ ومعناه من الله - عز وجل - (أنا أغنى الشركاء عن الشرك) سبحانه وبحمده هو سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك الشركاء عادة يقع بينهم تنافس وحرص لكن الله - عز وجل - أغنى الشركاء عن الشرك (من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) (من عمل عملا أشرك معي فيه غيري) لم يكن خالصا له وحده سبحانه فإن الله تعالى يطرح عمله ولا يتقبله وهذا هو معنى قوله أغنى الشركاء عن الشرك فلا يقبل سبحانه بمشاركة أحد فالمناسبة ظاهرة لباب ما جاء في الرياء ذلك أن الرياء فيه شرك في الله - عز وجل - وأنه سبب لحبوط العمل

- ونستفيد من هذا التحذير من الشرك بجميع صورته

- ونستفيد أيضا من وجوب الإخلاص العمل لله وتجرده

- ونستفيد أيضا وصف الله تعالى بصفة الغنى أنا أغنى الشركاء

- ونستفيد أيضا وصف الله بصفة الكلام لقول نبيه ﷺ قال الله تعالى

◊ ثم قال المصنف - رحمه الله - تعالى عن أبي سعيد مرفوعا (ألا أخبركم)

"ألا": أدلة تنبيه وإغراق

(ألا أخبركم بما هو أخوف): أخوف أخوف أفعل تفضيل أي أشد خوف

(أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال): المسيح الدجال خلق عظيم ما بين خلق السماوات والأرض الى قيام

الساعة ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أعظم من خلق الدجال، وذلك أن الله تعالى يجرى ذلك المخلوق من الخوارق العجيبة ما ينبر له الناس فيأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويمر بالخربة فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل وقسم الرجل شطرين ثم يرده كما كان فيفتتن الناس به فتنة عظيمة حتى أن نبينا ﷺ قال: (من سمع بالدجال فليأى عنه فإن الرجل يأتيه فيظن أنه مؤمن فلا يزال به حتى يرده عن دينه) أو كما قال ﷺ، ومع ذلك ومع شدة فتنته يقول النبي ﷺ ألا أخبركم بما أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا: بلى يا رسول الله قال:

الشرك الخفي: ما الشرك الخفي؟

يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل: ، يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر

رجل (رواه أحمد

إذا هذا رياء وهو أن يزين الإنسان عبادته لحمد الناس له

واعلموا أيها الإخوان أن الرياء إذا خالط العمل فلا يخلو من حالين أرجوا أن تتبها لهذا التقسيم الرياء إذا

خالط العمل فلا يخلو من حالين:-

(١) الحال الأولى: أن يدافعه ويجاهده فيذهب فحين إذا لا يضره وعمله صحيح ومقبول وهذا بما يقع على

الإنسان أن يهجم عليه يعنى خاطر معين يرى من مثلا رؤية أحدا له أو نحو هذا فإذا دافعه فانه لا

يضره

(٢) الحال الثانية: أن يسترسل معه وحين إذا ننظر:

■ إن كان هذا الرياء في أصل العمل يعنى منذ مبدأه ومنشأه فالعمل حابط من أصله لأنه فقد شرط الإخلاص،

■ أما إذا طرأ عليه في أثناء العبادة فانه يحبط ما قارنه وبهذا ننظر:

- فإما أن تكون العبادة واحده ينبني بعضها على بعض فتحبط جميعها
- وإما أن تكون العبادة ذات أجزاء مفرقة يستقل كل جزء بنفسه فلا يحبط إلا ما قارنه الرياء،

ونضرب لذلك مثالا بالمثال الذي ذكره النبي ﷺ رجل قام يصلى مخلصا لله - عز وجل - ثم شعر بأن فلان يرمقه فأخذ يزين صلاته ويمد ركوعه وسجوده الآن ما حكم صلاته؟ بطلت بأكملها هل نقول بطلت هذه الركعة لا بطلت الصلاة كلها لماذا لأن الصلاة عبارة عن عبادة ينبني بعضها إلي بعض لا يمكن أن يصح بعض أجزائها ويبطل بعض أجزاءها، لكن لو أن إنسان أراد أن يتصدق بمئة ريال وقسمها عشرة عشرة وتصدق بالعشرة الأولى مخلصا لله والثانية والثالثة ثم في العاشرة دخله رياء فهل تحبط صدقته كلها أم العاشرة الأخيرة؟ الأخيرة لأنها هي التي قارنها الرياء

فهذا الأثر أو هذا الحديث عن أبي سعيد - رضي الله عنه -:

◇ مناسب جدا للباب:

لما فيه من التحذير من الرياء ولما فيه من تفسير الرياء

◇ - ونستفيد

شدة شفقة النبي ﷺ على أمته لقوله ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي إذا هو شديد الخوف على أصحابه وعلى أمته

- وفيه أيضا أن أخوف ما يخاف على الصالحين هو الرياء قد يكون الفساق لا يعينهم هذا المحذور لكن الصالحين يخشى عليهم من الرياء والتزين بالدين لأمر شخصية أو اعتبارية وفيه ذم الشرك مطلقا لعلنا نستعرض المسائل بسرعة إن كان في الوقت سعة

وفيه مسائل

- الأولى: تفسير آية الكهف؛

[الشرح]: نعم وقد تقدم

- الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء من الرياء؛

[الشرح]: نعم وهو الشرك

- الثالثة ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

[الشرح]: لقوله أنا أغنى الشركاء عن الشرك

- الرابعة: أن من الأسباب: أنه تعالى خير الشركاء.

[الشرح]: هذا هو التعليل الذي ذكره في الحديث وهو أنه خير الشركاء

- الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء؛

[الشرح]: لقوله أخوف ما أخاف عليكم

- السادسة: أنه فسر ذلك بان المرء يصلئ لله لكن يزينه لما يرى من نظر الرجل إليه

[الشرح]: نعم واضح

وصلي اللهم علي نبينا محمد، وعلي آله وصحبه أجمعين؛